

المسلمون والوحدة الإسلامية

المسلمون والوحدة الإسلامية

الأستاذ محمد العاصي

إمام جمعة مدينة واشنطن

وعضو المجلس الأعلى للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة على رسول الله، وعلى آل الله المجاهدين في سبيله، وعلى صحبه الذين نصروه في دينه.

أيتها الإخوة والأخوات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نهنئكم ونهنئ جميع المسلمين بهذه المناسبة، وبهذا الأسبوع، وبهذه القيادة، وبهذا المجمع، إذ كلنا هنا نحاول جهودنا أن ننظر في موضوع يمتاز بشدة حاسيته النفسية حيث لا يتطرق إلى كثير من تفاصيله إلا القلة. فالمطلوب منا عند الولوج في الموضوع - وهذه كلمات من أخي لإخوته - نصح ووعي

يَتَعَدَّ طَبِيعَةُ الْمُوْرُوثَاتُ التَّارِيْخِيَّةُ الَّتِي تَعْتَمِلُ فِي حَيَاْتِنَا، وَفِي تَفْكِيرِنَا، وَفِي تَفْسِيرِنَا لِبَعْضِنَا، هَذِهِ الْأَيَّامُ يَحْبُّ أَنْ تَنْتَهِي، وَهَذِهِ الْلَّقَاءَاتُ هِيَ لَقَاءَاتٌ نَادِيَّةٌ، وَإِذَا كَذَّا مَجْمُوعَيْنِ هُنَا فِي مُثْلِ هَذِهِ الظَّرُوفَ الَّتِي تَحِيطُ بِالْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ مَا يَلِيقُ بِأُخْوَتِنَا إِلَّا مَسْؤُلِيَّاتِنَا إِلَّا مَسْؤُلِيَّةُ أَنْ نَحَاوِلَ - وَأَنَّهُ مَمَّا يَحْزَمُ فِي النَّفْسِ أَنْ نَجِدَ - فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ - التَّبَاعُدُ وَالتَّجَافُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ

-(230)-

وَتَجَافِيَاً يَفْوَقُ مَرَاتٌ كَثِيرَةٌ وَمَسَافَاتٌ أَبْعَدُ مَمَّا هُوَ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِيِّ، أَوْ حَتَّى بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِيِّ.

الآية القرآنية صريحة في دعوتها المسلمين لأهل الكتاب قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَيْكُمْ إِنَّمَا سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا إِنَّمَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُهُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا نَوَّلَ وَفَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّمَا مُسْلِمُونَ (1) فإذا كان المسلمون يدعون أهل الكتاب إلى كلمة سواء بينهم، فكيف يستحيل على المسلم أو يصعب عليه أن يدعو أخاه المسلم إلى الكلمة السواء ؟ هذا هو الواقع الذي تكرّس بيننا والذي أفرز المشكلات التي نعايinya منا الان.

أُريد أن أقول: إنّ المسلمين في أرجاء العالم كافة يعانون اليوم أنواع المآسي، ولأجل مواجهة ورفع هذه المآسي لابدّ من الاستعانة بمفكّرين وعلماء وMuslimين مخلصين يستطيعون أن يواجهوا هذا الواقع الصخم وأن لا يفكّروا بعقلية بعيدة عن هذا الواقع، وبناء على هذا يجب تصحيح كثير من أنماط التفكير القديم والتي يرجع أصلها إلى قرون عديدة مضت.

ففي سورة الكهف تتعذر الآية المباركة عن أصحاب الكهف فتقول أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفَ وَالرَّّوْقَيْمَ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَاجَبًا (2) حيث تشير الآية المباركة إلى أنّهم قد أمضوا في الكهف ثلاثة سنين وازدادوا تسعًا، وخرجوا بعد ذلك إلى مجتمع قد تغير، وبعد ذلك سكت عنهم التنزيل، لأنهم لم يتمتّوا إلى ذلك المجتمع الجديد بصلة مع أنّهم أصحاب إيمان وبالرغم من أنّهم جاهدوا قومهم من قبل وخُلّدوا في القرآن الكريم إلا أنّهم عندما انقطعت صلتهم بالواقع وبالمجتمع انقطع ذكرهم، ويقاد يكون هذا الأمر متباقاً مع العقلية والتفكير الذي نحاول به أن نعالج هذا الإشكال في تاريخنا وفي واقعنا.

إنَّ المشكلة تختصر في أن هناك أزمة صاحبت الإنسان منذ تكوينه، وهذه الأزمة

1 - سورة آل عمران: 64.

2 - سورة الكهف: 9.

-(231)-

تقوم على تضخيم الذات، وعلى التمحور حول الذات؛ الذات مفرداً والذات جمعاً، وأن مشكلة الأنانية هذه بتشخيصها الفردي وبتشخيصها الاجتماعي هي مشكلةبني الإنسان والتي برزت من جديد خلال التاريخ الإسلامي، وما كان ينبغي لها أن تفعل ذلك، فعندما أمر الله سبحانه وتعالى بليس أن يسجد لآدم امتنع ورفض ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِتَمَلَّأَ كَاهْ سَجْدُواْ لَآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(1) ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قُلْنَا أَنْتَ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنَاكَ أَنْتَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾(2) وفي آية أخرى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِتَمَلَّأَ كَاهْ سَجْدُواْ لَآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾(3) لم يكن إبليس هنا ينقصه المنطق، فطبعته غير طبيعة آدم، خلائقه يختلف عن آدم، واتخذ هذه القضية ذريعة لمعصية آدم وترس بالمنطق لمعصية آدم، وهذه العبارة ﴿أَنَّا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ هي العبارة التي تعتمل في هذه المشكلة التي نحن بصددها.

وكان من المفترض أن يقضى على هذه المشكلة وعلى هذه العبارة إلا أنَّهَا برزت في المضمون الإسلامي بوجهها البشع، قومياً، ومذهبياً أو طائفياً، فصار المسلم يدعى لنفسه الأفضلية على غيره لأنَّه خلقَ، أو لأنَّه خرج من تقاليد معينة أو لأنَّه كان إفرازاً من ماضٍ أو تاريخ معين كما ادعى إبليس لنفسه الأفضلية على آدم.

إلا أنَّ المشكلة تعقدت هنا، فكما أنَّ إبليس ادعى أنَّ المفترض يفرض أفضليته على الإنسان فكذلك اليوم نرى أنَّ المسلم قد ترس بالإسلام أو بالمذهبية وادعى أفضليته على غيره من المسلمين، ولسان حالنا يقول: ﴿أَنَّا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ لأنَّني خلقتُ سديماً أو لأنَّني خلقتُ شيعياً، هذه عبارة شيئاً نيء خطيرة. نحن لا نريد أن ندخل في تفاصيل تاريخية - مع أن هذا هو واجبنا - إنما نحيلكم

إلى كتاب **الجبل** وعلا وهو كلام صدق لا ريب ولا اختلاف فيه، وكلنا نسلم بتنزيله ... لا مُبَدِّلٌ لـ
لـ**كتاباته**... (4) برزت هذه المشكلة في

1 - سورة البقرة: 34.

2 - سورة الأعراف: 12.

3 - سورة الإسراء: 61.

4 - سورة الكهف: 27.

-(232)-

صدر الإسلام والآن يجب علينا أن نفتح أنفسنا ونسأل عمّا في الماضي على ضوء ما عندنا من الخبرة ومن الإخلاص ومن التفاني في الله ومن فهم كتابه وال الصحيح من سند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

القضية التي يجب معالجتها هي قضية التمحور حول الإمام علي عليه السلام، شرعية الحكم قبله وشرعية الحكم بعده، إثباتاً أو نفيًا، فلا أحد يختلف في شرعية حكمه هو، إنما المشكلة في أولئك، الذين ولدوا في الخلفية السنية فإذا بهم يسحبون شرعية ما قبل الإمام علي عليه السلام على الحكم بعد ذلك بعده حتى يومنا هذا مع أن الدلائل بيّنة وواضحة لما حدث للحكم في الإسلام، ولكن ضمور التفكير السياسي وضع الدين ولدوا ضمن التقاليد والتاريخ والموئلات العلمية والفقهية والكلامية وغيرها مما يشكّل المحتوى السني، وضعهم بحيث لا يدركون حتى الآن كيف يتعاملون مع شرعية الحكم ! وهو ظاهر حتى في الحركات الإسلامية في الأقطار الإسلامية في وقتنا الحاضر.

هناك الشق الآخر وهو شرعية الحكام أو الخلفاء الذين سبقو الإمام علي عليه السلام هل حكم أبي بكر وعمر وعثمان حكم شرعي أم لا ؟ نريد أن نتعامل مع هذا، نريد أن نفتح أنفسنا في هذا، فإذا كان شرعياً فنفعهم مبايعة الإمام لهم، وإن لم يكن شرعياً لا نفهم من مبايعة الإمام لهم، فلتحل هذه القضية.

وإذا لم نطرح هذه الأُمور فيما بيننا، ثقوا أنّ هؤلاء الذين ازداد ذبحهم لنا في مناطق معينة سيزداد ذبحهم لنا عاماً بعد عام ونحن ننصر^ف كالنعامة؛ نضع رأسنا تحت الرمال وكأنّ شيئاً لا يحدث، لـنـ لا نتكلم في هذه الموضوعات هنا ؟ إن تطرقنا لها، تطرقنا لها من باب الإخلاص والإخّوة، فقد تكلّم من سبقنا وسيتكلّم من يلحق بنا.

ونرجو من الجميع رجاء الأخ لأخيه أن يباشروا هذه الموضوعات وغيرها، فمثلاً هناك اختلاط في التفكير (تشويه فكري) يخلط بين الأموي والسنّي، هذا حاصل ! هناك

-(233)-

من لا يريد أن يتعامل مع هذه الظاهرة، ولكنّها ظاهرة موجودة في كتب التاريخ كثيراً، فالسنّي مرادف للأموي والأموي مرادف للسنّي، فإذا حصل شيء، من قبل الإدارة والحكومة الأمويّة يلام السنّة عليه لما تفعله هذه الحكومة، وهذا ينمّ عن جهل للعلاقة ما بين الحكم والمحكومين، لذا نأخذ المثال البسيط فيما يحدث وحدث في السنوات الماضية في العراق: لا أحد يشك في الجريمة المحلية والعالميّة التي اقترفها (1) صدام وحزبه، وأنّ معظم سكان العراق من الشيعة، هل يجوز لنا أن ن الخلط بين صدام ورعاياه ؟ وإن كان هذا التعبير غير صحيح هل يصحّ لنا أن نقول: إنّ هؤلاء الشيعة في العراق يؤيّدون ما فعله ويفعله صدام ؟ فإذا لم يكن يصحّ هذا الآن، كيف يصحّ في الماضي؟ وإذا لم يكن يصحّ في الماضي، لا يجوز له أن يصحّ الآن ! هذه المناطق التي يجب أن ترودها عقولنا وقلوبنا بإخلاص.

هناك نقاشات حادة حول مسح القدم أو غسل القدم، وقد سُرقت الأراضي تحت هذا القدم وما زلنا في مثل هذه المحاورات والنقاشات، وهناك علاقة بين ما يعتقده الإنسان وبين الأرض التي يعيش عليها [وَقَالَ الْأَذْدِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنَدْخُرْ جَنَّكُمْ مَنْ أَرْضَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مَلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهُوكَنَّ الطَّالِمِينَ] (2) استغفر الله لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1- ولو ادعى صدام كونه ينتسب إلى السنّة ومن مجتمع سنّي لكنه ليس سنّياً فضلاً عن عدم كونه شيعياً بل ممن قاتل الشيعة وخطط للقضاء عليهم وعلى علمائهم ومدارسهم بالرغم من غالبيتهم.

